مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 8 العدد 2 / ديسمبر 2022
ص ص 41–54

سيمياء السرد والأهواء في قصيدة "الغريم المحبوب" لـ "جميل بثينة"

Narrative Semiotics and Passions Semiotics in the Poem of Djamil Buthaina"The Beloved Adversary

أميرة بوغقال
جامعة عباس لغرور خنشلة، مخبر الشعرية جامعة باتنة (الجزائر)،
amira.boughogoal@univ-khenchela.dz

الاستلام: 2022/08/03 القبول: 2022/10/04 النشر: 2022/12/31

ملخص:

عرف شعر الغزل كواحد من أهم ألوان الشعر الغنائي، انتشارا وشهرة واسعة في عصر بني أمية، وعلى الرغم من اختلاف بعض الدارسين في نسبته لهذا العصر أو لعصور أقدم، إلا أن تاريخ الأدب انحاز إلى جعله أمويا، خاصة في ظل بروز الكثير من الأسماء التي رسخت وأثبتت انتماءه إليه من خلال أعذب قصائد الغزل العفيف المعبرة عن الحب الطاهر والعذاب والألم والشوق والحنين الذي يكنه الشاعر لمحبوبة واحدة دون غيرها، على نحو ما أبدعه جميل بثينة، ولأن قصائد الحب تلك قد احتوت قصصا لها أبطالها وموضوعات القيمة ومساعدون ومعارضون، فقد اخترت سيمياء السرد في شقها المتعلق بالمكنون السردي لدراسة النص المختار، فضلا عن محاولة تطبيق النموذج العاطفي المستمد من سيمياء الأهواء للكشف عن مراحل تشكّل العاطفة كمجال للبحث في مستوى الفعل، والأهواء.

الكلمات المفتاحية: سيمياء السرد، سيمياء الأهواء، البرنامج السردي، النموذج العاملي، النموذج العاطفي، الغزل العذري، جميل بن معمر.

Abstract:

The platonic love poetry was considered as one of the most important kinds of lyrics or the lyric poetry; it spread widely in the Umayad's castles Although some scholars differ wether this kind of poetry was belonging to this very era or to earlier periods, the history of literature had been biased toward making it belongs to the Umayad era. The latter was proved after the appearance of many poets who wrote fascinating poems about the pure love, the suffering, the pain and the longing of the poet to his sole beloved, like what is found in the poetry of Djamil Ibn Maamar. Those love poems contained their stories, heroes, themes and their own objects of value, some are with and others are against. So, the narrative semiotics is chosen with its both sides related to the narrative constituent to study the sample "the poem of DjamilButhaina", trying to apply the emotional sample of the semiotics of passion in order to reveal the stages of emotion formation and its own evolution or development. All the previous within the framework to study the emotion because the latter is considered as an effective motivator of the action.

Keywords: Narrative semiotics, passions semiotics, the narrative program, the global model, the emotional model, the platonic spin, Djamil ibn Muammar

1.مقدمة:

ليس غريبا أن يشهد العصر الأموي نتيجة لما جد فيه على مستوى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، الميلاد الحقيقي والانتشار المتميّز لشعر الحب العفيف والغزل العذري الذي عرف إقبالا كبيرا من طرف العديد من الشعراء، إذ وجدوا فيه متنفسا للتعبير عن مشاعرهم وتجاربهم التي وحدتها الآلام والمعاناة، فكان منبرا يصدحون من خلاله بما يجتاحهم من عواطف تؤججها نيران الشوق والوجد.

وقد كشفت قصائدهم عن سعيهم الحثيث لوصال محبوباتهم والتقرب منهن استجابة لعواطف أججها الهوى وأزرى بها الوجد والحنين أمام صد مضن، وعذل عواذل.

ولعل هذا يحيلنا إلى أن كل قصة حب حينها كانت تستبطن داخلها برنامجا سرديا، لما لها من هدف تنشده، وذات تسعى إليها، وصديق يدفع نحوه، وعاذل يعترض طريقه، فحقت بذلك محاولة الكشف عن حضور المكون السردي في قصائد الغزل العذري من خلال أنموذج لأحد أشهر رواد هذا اللون من الشعر هو جميل بن معمر المكنى بجميل بثينة، ولأن سعي الشاعر العذري للتقرب من المحبوبة هو فعل يحرّكه هوى الحب أو العشق الطاهر، فقد كان حريا أن نسلّط الضوء على مراحل تشكّل هذه العاطفة وتحولاتها وتمظهراتها وموقف المجتمع منها اعتمادا على النموذج العاطفي الذي أسس له غريماس (Greimas) وفونتاني (Jacques Fontanille) إدراكا منهما لصعوبة الفصل بين الفعل ودافعه الهووي، ومن رحم هذه العلاقة التي جمعت سيمياء السرد والأهواء في قصائد الغزل العذري، ستحاول دراستنا أن تعالج إشكالية محورية مؤداها:

- كيف يمكن الكشف عن المكوّن السردي – بما فيه من نموذج عاملي وبرنامج سردي- في قصائد الغزل العذري ذي الانفعالات المتميزة وفي قصائد جميل بن معمر بالتحديد؟

- كيف تنامت العاطفة في قصيدة جميل؟ وما أهم محطات النموذج العاطفي التي مرت بها؟

- هل يثبت حضور النموذجين- العاملي والعاطفي- في القصيدة التكامل الحاصل بين سيمياء السرد والأهواء؟

كل هذه أسئلة سنعمل على الإجابة عنها من خلال المحطات النظرية والتطبيقية الآتية.

2-المكون السردي عند غريماس

لم يكن انطلاق غريماس في مشروعه السردي من فراغ، فقد استند إلى ما جاء به فلاديمير بروب (Vladimir propp) في دراسته "مورفولوجيا الحكاية العجيبة" التي قام فيها "بوضع منهج لدراسة الحكاية الشعبية الروسية عن طريق تجزئتها إلى أجزاء، ومن ثم رصد العلاقات المتبادلة بين تلك الأجزاء بعضها ببعض إلى أن توصل لفكرة الوظائف.."، (ربيعي، 2016-2017، صفحة 20) فبعد أن درس ما يفوق مائة حكاية استطاع التوصل إلى مثال وظائفي أفضى به إلى أن "ما يتغير هو أسماء الشخصيات (وصفاتها في الوقت نفسه)، وما لا يتغير هو أفعالها (actions) أو وظائفها (fonctions)". (بروب، 1996، صفحة 37) وهو ما استلهمه غريماس منه مع محاولة لتقليص عدد الوظائف واستبدال مصطلح الوظيفة بمصطلحات أخرى، "فعوض الحديث عن الوظيفة يجب الحديث عن الملفوظ السردي،

وبدل الحديث عن دوائر الفعل يجب الحديث عن العامل، وبدل الحديث عن التتابع الوظيفي يجب الحديث عن خطاطة سردية..."، (حداد، 2018-2019، صفحة 66) وذلك كله في إطار ما أطلق عليه الباحثون مصطلح "نظرية غريماس السيميائية"، والتي سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف على إحدى المكونات المنتمية إلى المستوى السطحي منها، وهو المكون السردي بما فيه من نموذج عاملي وبرنامج سردي.

1- النموذج العاملي (Schéma actantiel)

يعتمد النموذج العاملي لـ"غريماس"(greimas) على ستة عوامل فقط لا غير، هي: المرسل، الفاعل، موضوع القيمة، المرسل إليه، المساعد، المعارض، والتي يمكن ضبطها وفقا للترسيمة الآتية:

الشكل01: النموذج العاملي

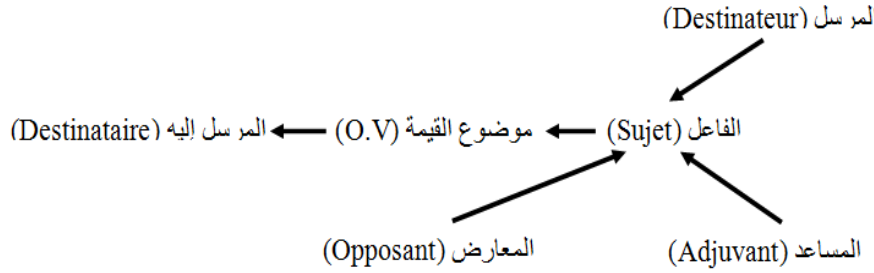

المصدر: (فزازي، 2011، صفحة 106)

1-1- المرسل (Destinateur): وهو من يمارس "فعل التحفيز لدفع الذات نحو تحقيق موضوع الرغبة".(بوطيب، 1999، صفحة 45)ذلك أنه صاحب الفكرة والموحي للفاعل قصد الوصول إلى موضوع القيمة المنشود، فدوره يتلخص في طرح الفكرة وتحريك الفاعل نحو تنفيذها.

2-1-2- الفاعل (Sujet): وهو المستجيب لفكرة المرسل، العامل على تنفيذها من أجل الوصول إلى موضوع القيمة، فهو "...من يتلقى التحفيز من طرف المرسل ويسعى إلى تحقيق الشيء المرغوب فيه" (أونيس، 2012-2013، صفحة 44).

3-1-2- موضوع القيمة (Objet de valeur): وهو "المرغوب من قبل الذات"، (بوعيطة، 2009، صفحة 54) أي ما يسعى الفاعل إلى الوصول إليه انطلاقا من فكرة أوحى إليه بها المرسل، فهو الهدف الذي يصبو الفاعل إلى تحقيقه.

4-1-2- المرسل إليه (Destinateur): وهو "المتلقي النهائي لموضوع الرغبة"؛ (بوطيب، 1999، صفحة 65)أي المستفيد من موضوع القيمة الذي يطرح المرسل فكرته وينفذه ويحققه الفاعل.

5-1-2- المساعد (Adjuvant): وهو "قوة مؤيدة للفاعل"، (أونيس، 2012-2013، صفحة 46)مساعدة له على ما يقوم به من أجل الوصول إلى موضوع القيمة، "إذ يتدخل لتقديم يد العون بغية تحقيق مشروعه العملي وإصابة هدفه المنشود"، (بوشفرة، 2008، الصفحات

52-51)لكنه رغم ذلك عامل ثانوي لا يشترط حضوره ويمكن غيابه.

2-1-6- المعارض (**Opposant**): وهو ذو دور مضاد لدور المساعد، إذ يعمل على "خلق جملة من العوائق المعرقلة لاتصال الذات بموضوع القيمة المرغوب فيه"، (بوشفرة، 2008، صفحة 52)فهو عادة ما يحاول أن يقف حائلا دون الذات الفاعلة وموضوع قيمتها، ولكنه يشترك مع المساعد في عدم إجبارية الحضور، فهو غير موجود دائما في كل النماذج العاملية، وتجدر الإشارة إلى أن هذه العوامل تنتظم ضمن محاور علائقية ثلاث هي:

*** محور الرغبة** (**Axe de désir**): وهو الرابط بين الفاعل وموضوع قيمته، إذ "يشكل محور الرغبة رغبة الذات في الحصول على موضوع القيمة بعد إقناعها من قبل المرسل"، (بوعيطة، 2009، صفحة 54) فلولا هذه الرغبة لما تحركت منفذة لفكرة المرسل سلعية إلى موضوع القيمة.

***محور التواصل والإبلاغ** (**Axe de communication**): الواصل بين المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يطرح فكرة ويرشح لها فاعلا للقيام بها وتنفيذها من أجل الوصول إلى موضوع قيمة يستفيد منه المرسل إليه، فالعاملان متصلان من خلال عامل وسيط هو موضوع القيمة "...مما يفسر عنصر التبعية غير المعكوسة التي يحتل فيها المرسل المركز الفوقي ليترأس الرسل إليه ويخضعه له، حيث يوكله بمهمة الحفاظ على تلك القيم وضمان استمرارها". (بوشفرة، 2008، صفحة 51)

*** محور الصراع** (**Axe de lutte**): وهو الرابط بين المساعد والمعارض، إذ يعمل الأول على مساعدة الفاعل ودعمه لتحقيق موضوع القيمة، فيما يقوم الثاني بعملية عكسية تتمثل في "خلق العراقيل"، (كورتيس، 2007، صفحة 111)مما يؤدي إلى صراع بين العاملين.

2.2 البرنامج السردي (Programme narratif):

وهو المحطة الثانية من المكون السردي، والتي تتضح من خلالها طريقة عمل وانتظام العوامل السابقة وأهليتها لإنجاز البرنامج الذي تسعى إليه، وذلك من خلال:

2-2-1-التحريك (**Manipulation**): وفيه يعمل المرسل المحرك على بث رغبة القيام بالفعل في الفاعل وإقناعه به، وهو ما يعني أن الفعل الإقناعي لا يتجاوز تبليغ فكرة المرسل إلى الفاعل، حيث يكون التبليغ في صفة الإغراء أو الإغواء بالترغيب في الموضوع، (فضل، 1996، صفحة 410) فالمرسل في هذه المحطة يحفز الفاعل لتحقيق موضوع القيمة.

2-2-2- الكفاءة (**Compétence**): ليتمكن الفاعل من الاستجابة لتحفيز المرسل وتحقيق موضوع القيمة يجب أن يوفر على بعض أو كل جهات الفعل التي تؤهله لذلك، والتي "تتضمن فعلا مثل: أعرف، يجب، أريد، أستطيع، بحيث تحدد كيفية الفعل"، (بن.مالك، 2000، صفحة 111)فهي تثبت كفاءة الفاعل في تجسيده لعمليات التحويل التي تجعله متصلا بموضوع القيمة أو منفصلا عنه في المرحلة الآتية (الإنجاز).

2-2-3- الإنجاز (**Performance**): يعتمد الإنجاز على وجود "ملفوظ فعل يتحكم في ملفوظ حالة ويحدده"، (بنكراد، 2001، صفحة 64)ففيه ينتقل فاعل الحالة من اتصال بموضوع القيمة، إن حقق برنامجه السردي، أو انفصال

عنه، أو يبقى على الحالة ذاتها من الاتصال أو الانفصال.

2-2-4- الجزاء (Sanction): ترتبط هذه المرحلة ارتباطا وثيقا بالإنجاز، رغم عدم إلزامية توفرها، ذلك أن المرسل له أن يحكم على إنجاز الفاعل، فتتوفر هذه المرحلة بوصفها "حكما قيميا يحكم على كون قيمي آخر"، (أريفيه، دون تاريخ، صفحة 115)أو أن يسكت عن تقييم عمله فتغيب هذه المحطة تماما.

3- من سيمياء السرد إلى سيمياء الأهواء

رغم نجاح **غريماس(Greimas)** في تطوير ما جاء به **فلاديمير بروب(V. propp)**في دراسته لمورفولوجيا الحكاية العجائبية من خلال اختزاله عدد الوظائف وضبطها وتحديد عواملها والعلاقات الرابطة بينها وطريقة انتظامها لوضع برنامج سردي كامل، مما أهله ليصبح صاحب نظرية سيميائية سردية قائمة بذاتها، إلا أنه اكتفى فيما جاء به بالوقوف على دراسة الفعل والعمل المنجز المحسوس مهملا سوابقه الشعورية والانفعالية الدافعة إليه.

"فالدراسات السيميائية استبعدت ولمدة طويلة من مجالات اهتماماتها التحليلية دراسة المشاعر والأهواء، وهذا راجع إلى تلك الخلفية اللسانية المستبعدة لكل ما هو ذاتي، ليبقى هذا الموضوع منحصرا في الدراسات النفسية بكل فروعها...ولهذا كان لزاما على السيميائيين أن يخرجوا من هذا المأزق المعرفي من جهة والإجرائي من جهة ثانية...فأعادوا التفكير جديا في إقحام مباحث جديدة للسيميائيات وعلى وجه التحديد مبحث الأهواء"، (بلعابد، 2016، الصفحات 179-180)خاصة وأن سيمياء السرد ذاتها قد تضمنت في محطاتها ما يشير إلى وجود أهواء مجردة تتدخل في مجال الفعل والأداء، مثلما هو الأمر في الكفاءة التي تعنى بدراسة جهات الفعل الأربعة بما فيها من رغبة في الفعل ووجوب له، وعلاقة الرغبة الرابطة بين الفاعل وموضوع القيمة.

وبناء على ذلك، فقد انتقلت السيمياء من "دراسة حالات الأشياء داخل سيميائية الفعل إلى دراسة حالات الروح داخل ما يعرف اليوم بسيميائيات الأهواء، بحيث ستنتقل هذه الدراسة السيميائية إلى فهم آخر وهي تقارب المعنى لتكشف بذلك عن ذاتية خطاب الشعور والأحاسيس عند المتلفظ وهو داخل علاقات توترية وصراعية في النص، وبالتالي ستفتح سيميائيات الأهواء ميدانا جديدا للبحث بفضل البعد العاطفي للخطاب... وهذا ما سعى إليه كل من **غريماس** وزميله **فونتاني..."**، (بلعابد، 2016، صفحة 179)خاصة في كتابهما "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، إذ عملا على إثبات أن المستوى الفعلي والعملي مسبوق بمستوى عاطفي استهوائي من شأنه أن يدفع نحو الأداء والإنجاز. لقد اعتبر **فونتاني**(Fontanille) العاطفة في الخطاب "تابعة لما هو معاش، والتطبيق العملي التلفظي هو الذي يخطط البعد العاطفي بنفس الطريقة التي يخطط بها الأبعاد الأخرى، وهذا ما يسمح للعاطفة بأن تفلت من كونها إحساسا بحتا ويجعلها تسجل في أشكال ثقافية تمنحها معناها بتزويدها بشكل سلسلة نظامية تكون خاضعة لمخططات". (الداهي، 2009، صفحة 237) فالعاطفة انطلاقا من هذا كائن متطور يمر بمراحل منذ بداية إرهاصاتها إلى تحديدها وبيان نوعها ثم تطورها وتمظهرها، وصولا إلى

حكم الذات والآخر عليها، وهو ما يمكن الكشف عنه من خلال الخطاطة الاستهوائية أو النموذج العاطفي.

4-النموذج العاطفي (Schéma passionnel)

تمر العاطفة في مسيرة تشكلها، وقبل أن تنقلها الذات الفاعلة إلى مجال الفعل والعمل، بخمسة مراحل مهمة، يمكن ضبطها فيما يأتي:

4-1- الانتباه العاطفي (Éveil passionnel): أو ما يطلق عليه "التكون"، حيث تشعر الذات الاستهوائية بانفعال عاطفي وذبذبة شعورية غير محددة الهوية استجابة لوجود مثير خارجي (شخص). فالتكون مثلما يصطلح عليه محمد الداهي "بمثابة المرحلة الأولى التي تبرز فيها الذات الاستهوائية في الخطاب، حيث يتشكل العامل بوصفه ذاتا استهوائية عندما يدرج داخل حالة لمعرفة هوى معين"، (الداهي، 2004، صفحة 104) ففي هذه المرحلة يصعب تحديد هوية الشعور، وهو ما يفضي إلى المرحلة الآتية.

4-2- الاستعداد العاطفي (Disposition passionnelle): أو كما يسميه **محمد الداهي** "التأهب" الذي "...تتلقى الذات من خلاله المحددات الضرورية للشعور بهوى أو بنوع منه وليس غيره"، (الداهي، 2004، صفحة 104)فبعد أن شعرت في المحطة السابقة بشعور مجهول الهوية، تتمكن في هذه المرحلة من تحديد نوعه وتمييزه عن غيره.

4-3- المحور (Pivot passionnel): وهو المرحلة التي ستشهد تغير العاطفة التي سبق تحديد نوعها في المحطة السابقة، وذلك تبعا لمعطيات خارجية تؤثر على شعور الذات الاستهوائية وتجعله يتخذ مسارا جديدا، وقد استخدم **محمد الداهي** له مصطلح "الصوغ الاستهوائي"، واعتبره "المرحلة التحويلية الأساسية للمتوالية التي ستغير الحالة الانفعالية للذات"، (الداهي، 2004، صفحة 104) والتي ستكون لها تجلياتها المحسوسة التي تختص بها المحطة الآتية.

4-4- التمظهر/التجلي العاطفي (Emotions): تصاحب كل عاطفة تمظهراتها الشكلية التي تثبت وجودها في نفس الذات الاستهوائية، فتأتي هذه المرحلة من المخطط العاطفي للكشف عن تلك التجليات، وقد اكتفى **محمد الداهي** بمصطلح "العاطفة" لها، والتي "تحيل إلى الفرد وجسمه، فإذا كانت المراحل السابقة تترك جسم الذات في راحة، فإن هذه المرحلة تظهره في نشاطه الانفعالي (رعشة، تشنج، رجفة، ضجر..) الذي يتشخص في شكل رد فعل جسماني قابل للملاحظة والمعاينة والقبول والرفض من لدن الآخرين". (الداهي، 2004، صفحة 104)فللعاطفة علاماتها الجسدية المحسوسة التي تجعل الأطراف الأخرى تكتشفها وتحكم عليها في إطار ما يسمى "التقويم الأخلاقي".

4-5- الموقف الأخلاقي (Moralisation): بعد أن اتضحت الإرهاصات الجسمية الدالة على وجود عاطفة تستبطن الذات الاستهوائية، سيكون للأشخاص الآخرين حكم على هذا الشعور، سواء بالقبول والتشجيع أو بالرفض، "فالعاطفة تحدث حدثا استهوائيا ملاحظا وقابلا للتقويم والقياس... سواء باسم الثقافة التي يمثلها الملاحظ أو باسمه الخاص"، (الداهي، 2004، صفحة 104)الأمر الذي سيؤدي إلى استسلام الذات الاستهوائية له أو تمردها عليه.

انطلاقا مما تم تقديمه عن المكون السردي والنموذج العاطفي، وبيان مدى التكامل والترابط الحاصل بين سيمياء السرد والأهواء، اخترنا أن نقدم نموذجا تطبيقيا لهما على إحدى قصائد الغزل العذري للشاعر الأموي **جميل بثينة**، لما فيها من قصة يمكن استجلاء مستواها السردي، وخطاطة استهوائية تتماشى مع طبيعتها العاطفية.

5- المكون السردي والنموذج العاطفي في قصيدة "الغريم المحبوب"

5-1- المكون السردي في قصيدة "الغريم المحبوب" (composantenarrative)

5-1-1- النموذج العاملي (Schéma actantiel)

إن قصيدة "الغريم المحبوب" قصيدة تحتوي قصة جمعت بين أطراف عديدة أهمها: جميل، بثينة، العذال، الذين اختلفت أدوارهم بين عاشق يفكر في الوصول إلى المحبوبة، وحبيبة تتمنع عن شخص يهيم بها، وأصدقاء يدعمون قصة الحب هذه، أو عذال وواشين يرفضونها. وهو ما جعلها مؤهلة للكشف عن المكون السردي، وعن النموذج العاملي كمحطة أولى تتنوع فيها الأدوار العاملية والعلاقات الرابطة بينها.

الشكل02: النموذج العاملي

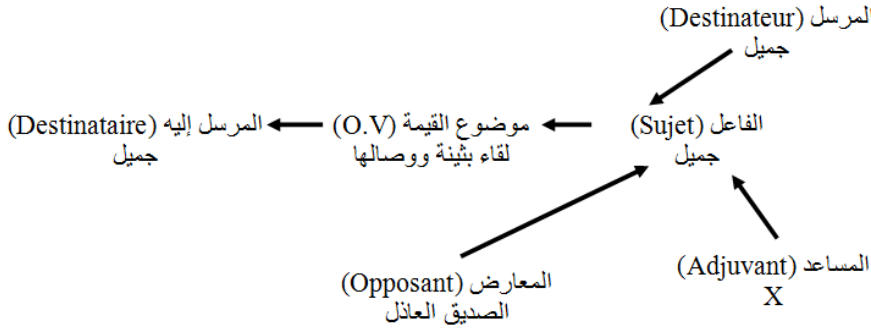

المصدر: من إعداد الباحثة

أ- المرسل (Destinateur): أو صاحب الفكرة الموجهة إلى الفاعل لتنفيذها بغية تحقيق موضوع القيمة، فهو من يمارس "فعل التحفيز لدفع الذات نحو تحقيق موضوع الرغبة".(بوطيب، 1999، صفحة 45)تماما مثلما يتجلى لنا **جميل** في هذه القصيدة، كصاحب فكرة التقاء بثينة ومواعدتها، في سبيل إطفاء جمرة الشوق الملتهبة في صدره، وهو ما اعترف به في قوله:

يا صاحِ، عن بعضِ الملامة أقصرِ* إنّ المنى لَلِقاءُ أُمّ المِسْوَرِ**.(بن.معمر، 1982، صفحة 60)

فهذا تصريح واضح منه بأنه المفكر الساعي إلى رؤية بثينة، الأمر الذي سيدفعه إلى تقمص الدور العاملي الآتي.

ب- الفاعل (Sujet): وهو أيضا **جميل**، الذي لم يكتف بالتفكير في لقاء **بثينة**، بل أخذ منها موعدا وتوجه لرؤيتها، فكان "الفاعل المباشر الذي يتلقى التحفيز من طرف المرسل ويسعى إلى تحقيق الشيء المرغوب فيه". (أونيس،

2013-2012، صفحة 44)وخير دليل على ذلك قوله: "إن المنى للقاء أم الميسور"، (بن.معمر، 1982، صفحة 60) ولا يهم في هذه المرحلة، إن كان اللقاء تم فعلا أم لا، فالمهم أن الفكرة خرجت من حيز التفكير إلى مجال التطبيق بغض النظر عن عدم تحققها الذي أشار إليه **جميل** بقوله:

يا ليتني ألقى المنية بغتة * إن كان يوم لقائكم لم يقدر**.(بن.معمر، 1982، صفحة 60) فقد تحول من دور المرسل إلى القيام بدور الفاعل قصد الحصول على هدف هو موضوع القيمة.

ج- موضوع القيمة (objet de valeur): وهو "المرغوب من قبل الذات"، (بوعيطة، 2009، صفحة 54) أو الهدف الذي سعى **جميل** الفاعل إلى الوصول إليه وتحقيقه، ويتمثل في مواعدة **بثينة** ولقائها بعد أن استبد به شوقه إليها، وقد أشار إليه في عدة أبيات نذكر منها:

يا صاح عن بعض الملامة أقصر إن المنى للقاء أم المسور. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

إلى قوله:

ويكون يوم لا أرى لك مرسلا أو نلتقي فيه علي كأشهر

يا ليتني ألقى المنية بغتة إن كان يوم لقائكم لم يقدر. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

فعبارات (المنى للقاء)، (نلتقي)، (يوم لقائكم) التي وردت متتابعة في شكل من أشكال التكرار تأكيد على أنها موضوع قيمة يصر الفاعل **جميل** على تحقيقه ونواله، ويبذل في سبيله كل ما يستطيع ليتمكن من التمتع بنتائجه التي تؤهله لتأدية الدور العاملي اللاحق.

د- المرسل إليه (Destinataire): أو المتلقي النهائي لموضوع الرغبة. (بوطيب، 1999، صفحة 65)والمستفيد من موضوع القيمة الذي يطرح فكرته (المرسل) وينفذها الفاعل، وهو دور يؤديه **جميل** أيضا، فبعد أن فكر في لقاء **بثينة** توجه للقائها ليطفئ جمرة الشوق ويستجيب لباعث الحب داخله، وهي لذة يسعى العاشق إلى جنيها وتذوقها بعد مرارة الهجر والبعد، على نحو ما أثبتته الأبيات السابقة التي عرضت لنا ما سيجنيه الشاعر إن تحقق الوصال أم لم يتحقق، وإن وجد من يعينه أو تعذر.

هـ- المساعد (Adjuvant): وهو المعين للفاعل يحقق موضوع قيمته، إذ "يتدخل لتقديم يد العون بغية تحقيق الفاعل مشروعه العلمي وإصابة هدفه المنشود"، (بوشفرة، 2008، الصفحات 51-52)وهو ما لم يتوفر للفاعل **جميل**، إذ لم يجد من يساعده على لقاء **بثينة**، ما أثر على مخططه وأحبط موضوع قيمته، فلم يرد في الأبيات حديث عن شخص أو طرف يدعم هدفه، في حين وجد من عمل على العكس.

و- المعارض (Opposant): أو ما يمكن التعبير عنه بوصفه معيقا للفاعل حتى لا يصل إلى موضوع قيمته، أو رافضا لحدوثه من الأصل، فدوره يكمن في "خلق مجموعة من العوائق المعرقلة لاتصال الذات بموضوع القيمة المرغوب فيه". (بوشفرة، 2008، صفحة 52) فـ**جميل** الفاعل الذي لم يجد من يساعده ويؤيد موضوع قيمته المتمثل في لقاء **بثينة** ووصالها، قابل من يرفض هذا المبتغى ويلومه على سعيه نحوه وهو صديقه الذي عذله ولامه

على عشقه لمحبوبته وركض خلفها في الوقت الذي تمارس فيه هي طقوس التمنّع والترفّع التي تزيد من تعلق **جميل** بها. وقد صرح الشاعر بعدم قبوله لوم صاحبه له في قوله:

يا صاح عن بعض الملامة أقصر* إن المنى للقاء أم المسور**. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

ويمكن الربط بين العوامل السابقة من خلال المحاور العلائقية الآتية:

*** محور الرغبة (Axe de désir):** وهو الرابط بين الفاعل وموضوع القيمة، حيث يرغب **جميل** في لقاء **بثينة** ومواعدتها، ولولا هذه الرغبة لما تحرك الفاعل تنفيذا لفكره المرسل، فهي "بؤرة النموذج العاملي". (العجيمي، 1993، صفحة 40)

*** محور التواصل (Axe de communication):** الذي يجمع بين المرسل والمرسل إليه، إذ يتحقق الاتصال بينهما من خلال موضوع القيمة، فبين المرسل (**جميل**) والمرسل إليه (**جميل**) اتصال كفله موضوع القيمة الذي فكر فيه المرسل ليستفيد منه المرسل إليه، حيث يقوم الأول بقيادة الثاني متبوئا "سلطة الزعامة وممثلا القدرة على إصدار الأوامر والأحكام، إذ يقوم في وضع أولي بعمل المحرك، وفي وضع نهائي بعمل المقوم، فتكمن وظيفته في منظومة من القيم بالحكم على الأفعال سلبا أو إيجابا وتبليغها إلى المرسل إليه"، (بوشفرة، 2008، صفحة 51) وهنا يتأكد التواصل والإبلاغ المكفول بين العاملين عبر عامل وسيط هو موضوع القيمة.

*** محور الصراع (Axe de lutte):** وهو محور غائب في هذه القصيدة لحضور طرف هو المعارض (الصديق العاذل) وغياب العامل الآخر وهو (المساعد)، فالأصل في الصراع أن يجمع بين المساعد كداعم معين للفاعل للوصول إلى موضوع القيمة، والمعارض كرافض معين له، وغياب أحد الطرفين يعني غياب العلاقة إجمالا.

2-1-5- البرنامج السردي (Programme narratif)

بعد أن تم الوقوف على تحديد العوامل وبيان العلاقات الرابطة بينها ضمن المرحلة الأولى من المكون السردي (النموذج العاملي)، تأتي المرحلة الثانية ممثلة في البرنامج السردي لبيان كيفية تحرك تلك العامل للوصول إلى موضوع القيمة وما يجب أن تتوفر عليه الذات الفاعلة من كفاءة لتتمكن من تحقيق الإنجاز، وذلك من خلال المحطات الآتية.

أ- التحريك (Manipulation): ويصطلح عليه أيضا "التحفيز"، ذلك أن المرسل يحفز الفاعل لإنجاز فعل التحول، "ففعل الفاعل المرسل يحدث فعل فاعل آخر الذات عن طريق ممارسة المرسل لفعل الإقناع". (أريفيه، دون تاريخ، صفحة 114)

وبناء على ذلك، يفكر **جميل** (المرسل) في لقاء **بثينة** (موضوع القيمة) فيقصد (الفاعل) المكان المتفق عليه لمواعدتها، ولكنها تتخلف عن ذلك، ودليل ذلك قوله: "...إن المنى للقاء أم المسور". (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

"يا ليتني ألقى المنية بغتة * إن كان يوم لقائكم لم يقدر"**.

لكن هل يتوفر الفاعل على ما يؤهله للوصول إلى موضوع القيمة؟ هذا ما يفضي بنا إلى التطرق لما يسمى بـ"الكفاءة".

ب- الكفاءة (Compétence): ويمكن دراستها من خلال جهات الفعل الأربع التي تتضمن فعلا مثل "أعـرف، يجـب، أريـد، يسـتطيع": (بن.مالـك، 2000، صفحة 111)

الجدول رقم 01:الكفاءة

الرغبة	الوجوب	المعرفة	القدرة
☑	☒	☑	☒

*** الرغبة (Vouloirfaire):** متوفرة، حيث يرغب الفاعل **جميل** في لقاء **بثينة** ورؤيتها (إن المنى للقاء أم المسور). (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

*** الوجوب (Devoir faire):** غير متوفر، إذ لا يجب على الفاعل **جميل** أن يلتقي **بثينة** ويراها، فبإمكانه الاكتفاء بالاستمتاع بحبه لها من بعيد ودون مواعدة، خاصة وأنه من أعلام الحب العذري العفيف الطاهر.

*** المعرفة (Savoir faire):** متوفرة، حيث يعرف الفاعل (**جميل**) مكان وموعد معلوم لكليهما، وفي ذلك قال:

"يا ليتني ألقى المنية بغتة * إن كان يوم لقائكم لم يقدر".** (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

فالطمع في اللقاء هو نتيجة لاتفاق مسبق بين الطرفين.

*** القدرة (Pouvoir faire):** وهي غير متوفرة، فرغم اتفاق **جميل** و**بثينة** على الالتقاء إلا أن ذلك لم يتم بعدما امتنعت هذه الأخيرة عن الحضور وجعلته ينتظر دون جدوى، مما جعله محط لوم وعتاب من طرف صاحبه الذي لامه على ركضه خلفها رغم تمنّعها وهو ما يؤكده في قوله:

"تقضى الديون وليس ينجز موعدا * هذا الغريم لنا وليس بمعسر**
ما أنت والوعد الذي تعديني * إلا كبرق سحابة لم تمطر".** (بن.معمر، 1982، صفحة 61)

إن هذه الجهات الأربعة -بتوفر بعضها وعدم توفر الآخر- من شأنها أن تؤثر على ما إن كان الفاعل قد حقق موضوع قيمته وأنجزه أم لا، وبالتالي تأتي المحطة الآتية من البرنامج السردي للوقوف على دراسة إنجاز الفاعل.

ج- الإنجـاز (Performance): ويمكن صياغته كالتالي:

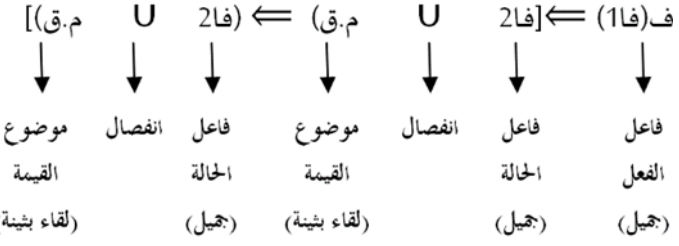

كان فاعل الحالة **جميل** في حالة انفصال عن موضوع القيمة لقاء **بثينة** ووصالها، وبقي على حالة الانفصال ذاتها رغم المجهودات التي قام بها فاعل الفعل **جميل** ليجعله يحقق موضوع قيمته، وهو ما يؤكده في قوله:

"ما أنتِ والوعد الذي تعديني * إلا كبرق سحابة لم تمطر"**. (بن.معمر، 1982، صفحة 61)

وبهذا أمكن القول، إن البرنامج السردي لم يتحقق، فهل سيصدر المرسل حكما على الفاعل الذي لم يحقق إنجازه أو سيصمت عن ذلك؟

د- الجزاء (Sanction): يعرف الجزاء بأنه "كون قيمي يحكم على كون قيمي آخر". (بنكراد، 2001، صفحة 104)ففيه يحكم المرسل أو صاحب الفكرة على أداء الفاعل منفذ الفكرة، وذلك من خلال قول أو إشارة أو إماءة أو غيرها، وقد حكم **جميل** على نفسه بعد أن خلفت **بثينة** وعدها معه بأن تمنى الموت المفاجئ في الحين واللحظة ذاتها وذلك في قوله:

"يا ليتني ألقى المنية بغتة * إن كان يوم لقائكم لم يقدر"**. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

ذلك كما اعترف بأنه يستحق ما حدث له أنه لا ينتصح من صد **بثينة** ولا يقابل هجرها وتمنعها عنه بهجران مثله، وهو ما يؤكده قوله:

قلبي نصحت له فرد نصيحتي * فمتى هجرته فمنه تكثري.** (بن.معمر، 1982، صفحة 61)

إن وجود هذا المكون السردي بما فيه من نموذج عاملي وبرنامج سردي متعلق بالإجراءات الفعلية التي كانت تقوم بها الذات في إطار سعيها للوصول إلى موضوع القيمة، ولكن هذا التحرك على المستوى الفعلي والإنجازي ما كان ليكون لولا وجود عاطفة أو هوى باطني يؤدي دور المحرك الذي يدفع بالذات نحو العمل والفعل، وهو ما يحيلنا إلى محاولة الكشف عن هذا المستوى المجرد وكيفية تشكّل هذه العاطفة والمراحل التي مرت بها، وذلك من خلال الوقوف على النموذج العاطفي في القصيدة قيد الدراسة.

2-5- النموذج العاطفي (Schéma passionnel)

يعتمد النموذج العاطفي الذي يهتم بدراسة مراحل تطور العاطفة على خمسة مراحل مهمة هي: الانتباه العاطفي، الاستعداد، المحور، التمظهر أو التجلي العاطفي، الموقف الأخلاقي. وسنقف فيما يأتي على كل مرحلة انطلاقا مما جاء به

غريماس(Greimas)وفونتاني(Fontanille).

5-2-1- الانتباه العاطفي (Eveil passionnel): في هذه المرحلة تستشعر الذات شعورا داخليا مجهول الهوية غير واضح المعالم، فلا تعرف منه سوى أن هناك ما تحرك داخلها دون استبيان لطبيعته، "فقبل أن تكون هناك ذات عارفة، لم تكن هناك سوى كتلة انفعالية موجودة خارج أي تمفصل". (أ.ج غريماس وفونتاني، 2010، صفحة 13) إنه هوى حديث النشأة ولكن غير محدد أو بيّن لدى صاحبه، فقد قادت إليه جملة من المعطيات التي أحاطت بالفاعل فبثته في نفسه دون سابق إنذار أو معرفة به، وقد غابت هذه المحطة من النموذج العاطفي، إذ لم يشر الشاعر في قصيدته هذه إلى أول ذبذبة شعورية اجتاحت قلبه مع أول لقاء له بمحبوبته، وإن كان قد أشار لها في قصائد أخرى، فاكتفى بتحديد

العاطفة ونوعها مباشرة مما يحيل إلى المحطة الموالية.

5-2-2- الاســـتعداد (Disposition passionnelle): بعد أن سرى في الذات شعور اقتحم حياتها النفسية وجعلها تعجز في البداية عن تحديد ماهيته، تأتي هذه المرحلة لتكتشف طبيعة تلك العاطفة وتسميها بمسماها الذي ينطبق عليها انطلاقا مما "ينتاب الإنسان ويغمر عقله ويكتسح تمثلاته". (لالاند، 1996، صفحة 850)

وقد استطاع **جميل** في هذه المحطة أن يدرك وقوعه في شرك الحب، وأن ما يشعر به ما هو في الحقيقة سوى عشق وهيام بتلك المرأة التي كان أول لقائه بها عداء وشتيمة. ولم يجد الشاعر حرجا في الاعتراف بذلك طالما أنه لا يمس حدود الطهر والعفاف اللذين يؤمن بهما، فقال:

يا ليتني ألقى المنية بغتة * إن كان يوم لقائكم لم يقدر**
أو أستطيع تجلدا عن ذكركم * فيفيق بعض صبابتي وتفكري**
لو تعلمين بما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت إن لم تعذري.** (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

لقد بلغ استبداد الحب والعشق بجميل –من خلال هذه الأبيات- أن يتمنى الموت لإنهاء معاناته، أو أن يزول عنه تأثيره فيعود إلى سابق عهده، لكن استحالة هذا جعلته يعود إلى ترجي الوصال وإشفاق محبوبته عليه علها ترأف به وتعذر ماهو عليه، فهل بعد كل هذا ستتغير مشاعر جميل في المحطة الآتية؟

5-2-3- المحور (Pivot passionnel): الأصل في هذه المرحلة أن تعرف العاطفة المتكونة والمتعرف عليها في المرحلة السابقة منعرجا يغير طبيعتها، فتتحول من الحب إلى الغيرة أو الكره أو غيرها.

لكن يبدو أن **جميل** بقي على حالة الحب ذاتها **لبثينة** إن لم نقل إنها مع مضي الوقت ازدادت توهجا بفعل البين والإشاعات التي لم تكن تزده سوى تعلقا وهياما بها بدل أن تغير شعوره على النحو الذي أراده العذّال اللائمون، فسقطت هذه المرحلة في قصة **جميل وبثينة** وبقي الحب دائما مستمرا، وهو ما كان يؤكده **جميل** حين قال:

بهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت * يتبع صداي صداك بين الأقبر**. (بن.معمر، 1982، صفحة 61)

فعشقه لمحبوبته غير قابل للذوبان أو التغير أو الزوال، بل هو مستمر خالد حياة ومماتا، ودلائل ذلك وتجلياته ستتضح من خلال التمظهر العاطفي.

5-2-4- التمظهر (التجلي العاطفي) (Emotion passionnelle): إن كانت العاطفة كائنا مجردا يسكن النفس ويستقر بها، فإن لها تمظهرات حسية أو سلوكية تعكس وجودها وتبين درجة حضورها أو حتى غيابها وتراجعها.

وقد انعكس عشق وحب **جميل لبثينة** في جل تصرفاته وأقواله وردود أفعاله، ولعل أهمها:

- صد العذّال والدفاع عن **بثينة**، ويتضح ذلك في قوله:

"يا صاح عن بعض الملامة أقصر* إن المنى لَلِقاء أم المسور"**. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

- عدم الصبر على الغياب واستعجال اللقاء، وفي ذلك قال:

"ويكون يوم لا أرى لك مرسلا * أو نلتقي فيه علي كأشهر"**. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

رضاها في قوله:

"لو تعلمين بما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت إن لم تعذري"**. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

بالوصال، حيث اعترف قائلا:

"إني إليك بما وعدت لناظر***

نظر الفقير إلى الغني المكثر

تقضى الديون وليس ينجز موعدا ***

هذا الغريم لنا وليس بمعسر

ما أنت والوعد الذي تعديني * إلا كبرق سحابة لم تمطر"**.(بن.معمر، 1982، صفحة 60)

5-2-5- الموقف الأخلاقي (Moralisation passionnelle): في ظل تمظهرات العاطفة وتجلياتها أمام الذات والآخر ممثلا في المجتمع ومن فيه، تواجه العاطفة بجملة من المواقف التي تترجم مدى قبولها أو رفضها، وهو ما يصطلح عليه (الموقف الأخلاقي).

لم يكن جهر **جميل** بحبه لـ**بثينة**، وركضه خلفها، وإصراره على وصالها رغم تمنعها وتكبرها بالأمر المقبول لدى أفراد مجتمعه ومعارفه، وهو ما خلق حوله شريحة من العذّال الذين عملوا على لومه وإبعاده عن محبوبته تعبيرا عن رفضهم لهذه العلاقة ومعطياتها. وقد مثل هذه المجموعة المخاطب الحاضر في النص، وهو صاحب **جميل** الذي طلب منه الابتعاد عن

- تفضيل الموت على الفراق والبعد، ودليله:

"يا ليتني ألقى المنية بغتة * إن كان يوم لقائكم لا يقدر"**. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

- استعطاف الحبيبة واستجداء

- حفظ أسرار بثينة والحرص عليها، إذ قال:

"ولتبكيني الباكيات وإن أبح * يوما بسرك معلنا لم أعذر"**.(بن.معمر، 1982، صفحة 60)

- الصبر على تمنع الحبيبة، وعدم فقدان الأمل **بثينة** والتخلي عنها، فما كان منه سوى الرفض والدفاع عنها؛ وقد قال في ذلك:

"يا صاح عن بعض الملامة اقصر* إن المنى لَلِقاء أُمّ المسور"**. (بن.معمر، 1982، صفحة 60)

وبهذا يتضح الوجه الثاني للموقف الأخلاقي من قصة الحب المعقدة هذه، وقد مثله جميل ذاته بتمسكه بحبيبته ورفضه التخلي عنها والدفاع عنها والرد على كل واشٍ أو لائم أو عاذل بحب أبلغ ومدهش يحيد فيه العقل ولا يسمع ويتلذذ إلا بنداء القلب:

"**قلبي نصحت له فرد نصيحتي *** فمنى هجرته فمنه تكثُّري"**. (بن.معمر، 1982، صفحة 61)

وهو إيحاء، بل وتصريح باستعداده للمعاناة في سبيل حبه **لبثينة** والصبر عليها طالما أن قلبه لا يستجيب لنداءات العقل وآراء العذّال.

لقد عملت المحطات الخمسة على بيان كيفية تشكل العاطفة في قصيدة "جميل بثينة" وعلاقتها الوثيقة بالمستوى الفعلي والأدائي الذي ظهر في دراسة المكون السردي، على اعتبار أن تشكل الهوى سابق لتنفيذ الفعل، ولكنه دافع لتحققه وخروجه إلى حيز الأداء والعمل.

6. خاتمة

انطلاقا مما سبق تتضح لنا حاجة الشعر الوجداني إلى التحليل السيميائي وإلى سيمياء الأهواء لفائض الأهواء المركز فيها. فمن جهة الطابع السردي المرتبط بالقصص الواقعية التي جمعت بين الشعراء وحبيباتهم يسهل -في الجانب السيميائي- تطبيق المكوّن السردي **لغريماس(A.J.Greimas)** بشقيه المرتبطين بالنموذج العاملي والبرنامج السردي، ومن جهة أخرى فإن الشحنة العاطفية القوية التي تضمنتها القصائد استدعت حضور النموذج العاطفي لبيان تشكّلها وتطوّرها وعلاقتها بالفعل والإنجاز المحققين على مستوى المكون السردي.

7. قائمة المراجع

أ.ج غريماس وفونتاني .(2010) .*سيمياء الأهواء من خلال الأشياء إلى حالات النفس*.القاهرة :دار الكتاب الجديد المتحدة.

أريفيه ,م) .دون تاريخ .(*السيميائية :أصولها وقواعدها*.الجزائر :منشورات الاختلاف.

الداهي ,م .(2004) .تجليات الأهواء في رواية الضوء الهارب لمحمد برادة .*مجلة الثقافات*.

الداهي ,م .(2009) .*سيميائية السرد)بحث في الوجود السيميائي المتجانس*.(القاهرة :رؤية للنشر والتوزيع.

العجيمي ,م .ا .(1993) .*في الخطاب السردي : نظرية غريماس*.القاهرة :الدار العربية للكتاب.

أونيس ,ك .(2012-2013) .*النموذج العاملي في رواية مذنبون لون دمهم في كفي للحبيب السائحي*.بسكرة :جامعة محمد خبضر.

بلعابد ,ع .ا .(2016) .سيميائيات الأهواء :الحب في حالاته القصوى .*مجلة الكوفة*.

بن.مالك ,ر .(2000) .*قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي-إنجليزي*.الجزائر :دار الحكمة.

بن.معمر ,ج .(1982) .*الديوان*.بيروت :دار بيروت للطباعة والنشر.

بنكراد ,س .(2001) .*السيميائيات السردية - مدخل نظري*.الرباط :منشورات الزمن.

بوشفرة ,ن .(2008) .*مباحث في السيمياء السردية*.تيزي وزو :دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

بوطيب ,ع .ا .(1999) .*مستويات دراسة النص الروائي :مقاربة نظرية* .الرباط :مطبعة ومكتبة الأمنية.

بوعيطة ,س .(2009) .المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية -غريماس أنموذجا . *مجلة سمان بجامعة البحرين*.

فزازي ,أ .(2011) .*أسئلة وأجوبة في السيميائيات السردية*.القاهرة :دار الكتاب الجديد.

فضل ,ص .(1996) .*بلاغة الخطاب وعلم النص*.القاهرة :دار نوبار للطباعة.

كورتيس ,ج .(2007) .*مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية*.الجزائر :الدار العربية للعلوم ناشرون.

لالاند ,أ .(1996) .*موسوعة أندري لالاند الفلسفية*.بيروت :منشورات عويدات.